

المدار الآخرة

(٢٠)

النفخ في الصور

الشيخ/ ندا أبو أحمد



الدَّارُ الْآخِرَةُ

النَّفخُ في الصور

مَهَيِّدٌ

إِنَّ الْحَمْدَ لِلَّهِ نَحْمَدُهُ، وَنُسْتَعِينُهُ، وَنَسْتَغْفِرُهُ، وَنَعُوذُ بِاللَّهِ مِنْ شُرُورِ أَنْفُسِنَا، وَمِنْ سَيِّئَاتِ أَعْمَالِنَا، مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَلَا مُضِلَّ لَهُ، وَمَنْ يَضِلَّ فَلَا هَادِيَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ، وَحْدَهُ لَا شَرِيكَ لَهُ، وَأَشْهَدُ أَنَّ مُحَمَّدًا عَبْدُهُ وَرَسُولُهُ.

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ حَقَّ تَقَاتِهِ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنْتُمْ مُسْلِمُونَ﴾ (آل عمران: ١٠٢)

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالًا كَثِيرًا وَنِسَاءً وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي تَسَاءَلُونَ بِهِ وَالْأَرْحَامَ إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾ (النساء: ١)

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا (٧٠) يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا﴾ (الأحزاب: ٧٠، ٧١)

أما بعد....

فإن أصدق الحديث كتاب الله - تعالى -، وخير الهدي، هدي محمد ﷺ، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

أولاً: نفخة الصَّعق

مرّ بنا أن الله ﷻ قبل قيام الساعة يرسل ريحاً طيبة تقبض أرواح المؤمنين، فلا تترك نفساً في قلبها مثقال حبة من إيمان إلا قبضتها، فلا يبقى إلا شرار الناس، عليهم تقوم الساعة، فإذا أذن الله بهلاك العالم وقيام الساعة؛ فإنه يأمر إسرئيل عليه السلام بالنفخ في الصور فيفعل؛ **امثالاً لقوله تعالى: ﴿لَا يَعْصُونَ**

اللَّهُ مَا أَمَرَهُمْ وَيَفْعَلُونَ مَا يُؤْمَرُونَ﴾ [التحريم: ٦٠]

وعندما ينفخ إسرئيل في هذا الصور نفخة واحدة وهي نفخة الفرع؛ يصعق من في السموات ومن في الأرض إلا من استثناهم الله ﷻ، **كما قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ**

إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾ [الزمر: ٦٨]، وكما أن الخلائق تقنى فكذلك الكون يخرب، فتنزل الأرض زلزالاً عنيفاً، وتلك الجبال، وتكور الشمس، وتتكدّر النجوم، وتتناثر الكواكب، وتنشق السماء فتكون كالنحاس المذاب

كما قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَكُونُ السَّمَاءُ كَالْمُهْلِ (٨) وَتَكُونُ الْجِبَالُ كَالْعِهْنِ﴾ [المعارج: ٨-٩]

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا﴾ [الزلزلة: ١-٣]

إنه يوم عصيب يشيب لهوله ولدان، **كما قال الواحد الديان عنه:**

﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمُ إِنَّ زَلْزَلَةَ السَّاعَةِ شَيْءٌ عَظِيمٌ (١) يَوْمَ تَرَوْهَا تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ

حَمْلٍ حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى وَمَا هُمْ بِسُكَارَى وَلَكِنَّ عَذَابَ اللَّهِ شَدِيدٌ﴾ [الحج: ١-٢]

ولست بصدد الكلام عن أهوال يوم القيامة، فسيأتي الكلام عنه بمشيئة الله ﷻ، لكن حديثي عن النفخ في الصور، والأمور المتعلقة به، وبعد هذه المقدمة هناك بعض الأسئلة والتي تبحث عن جواب.

س: ما الصور؟

ج: هو مثل البوق، ولم يرد في وصفه شيء، فهو غيب من حيث ماهيته، وهو في لغة العرب يسمى: " القرن"، وكذا سمَّاه النبي ﷺ؛ كما جاء في الحديث الذي أخرجه الترمذي وأبو داود من حديث عبد الله بن عمرو- رضي الله عنهما- قال: " جاء أعرابي إلى النبي ﷺ فقال: ما الصور؟ قال: الصور قرن ينفخ فيه ". (السلسلة الصحيحة: ١٠٨٠) (صحيح الجامع: ٣٨٦٣)

والصور له اسم آخر وهو: " الناقور"، ودليل ذلك قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّاقُورِ﴾ [المدثر: ٨] فالصور والناقور اسمان لمسمّى واحد، وهذا ما ذهب إليه ابن عباس -رضي الله عنهما-، فقد أخرج البخاري تعليقاً ووصله الطبري وابن أبي حاتم عن ابن عباس -رضي الله عنهما- أنه قال: في قوله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي النُّاقُورِ﴾ قال: الصور". (انظر فتح الباري: ٣٧٦/١١)

س: من الموكّل بالنفخ في الصور؟

الموكّل بالنفخ في الصور هو إسرافيل عليه السلام، وهو ملك كريم من ملائكة الله تعالى، وهذه هي وظيفته التي خلّق من أجلها، فالله ﷻ خلق الملائكة وجعل لكل منهم وظيفة. فهذا جبريل موكل بالوحي، وميكائيل موكل بالقطر والنبات والأرزاق، وملك الموت موكل بقبض الأرواح، وملك موكل بالجمال، ومالك خازن النار، ورضوان خازن الجنة، ومنكر ونكير لسؤال القبر، ورقيب وعتيد: وهما وصفان للملكين اللذين يسجلان أعمال العباد... وغيرهم من الملائكة، ولكل واحد منهم وظيفته التي خلق من أجلها.

وقفة مع قوله تعالى: ﴿وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ﴾ [القصص: ٦٨]

خلق الله الملائكة، واصطفى منهم جبريل وميكائيل وإسرافيل، وقد كان النبي ﷺ يذكرهم في دعائه عندما يستفتح صلاته من الليل فيقول: " اللهم رب جبريل وميكائيل وإسرافيل، فاطر السموات والأرض، عالم الغيب والشهادة، أنت تحكم بين عبادك فيما كانوا يختلفون، اهدني لما اختلف فيه من الحق بإذنك، إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم".

(أخرجه مسلم من حديث عائشة-رضي الله عنها-)

س: ما أسماء الصوت الذي يخرج إسرائيل من الصور؟

ج: سمى الله تعالى الصوت الذي يخرج إسرائيل من الصور بعدة أسماء منها: -

١- النفخة: قال تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ نَفْخَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [الحاقة: ١٣]

٢- الصيحة: قال تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ [يس: ٤٩]

٣- الراجفة: قال تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ (٦) ﴿تَتَّبِعُهَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦، ٧]

٤- الزجرة: قال تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣]

فإسرائيل ينفخ نفخة وزجرة - وهي النفخة بغضب - تحدث صيحة عظيمة ترجف لها الأرض والقلوب" (فتح الباري: ٣٧٦/١١)

س: مَنْ أَوَّلُ مَنْ يَسْمَعُ الصَّيْحَةَ؟

ج: أول مَنْ يسمع الصيحة هو رجل يصلح حوض إبله.

ففي صحيح مسلم من حديث عبد الله بن عمر-رضي الله عنهما- أنه سمع النبي ﷺ يقول: "... ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحدٌ إلا أصغى ليتها^(١) ورفع ليتها، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله^(٢)، قال: فيصعق، ويصعق الناس."

س: ما سرعة هلاك الناس حين سماع الصيحة وقيام الساعة؟

ج: الساعة تكون بغتة، فتقوم في لمح البصر أو أقرب من ذلك.

فقد أخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ: أن رسول الله ﷺ قال: "ولتقومن الساعة وقد نشر الرجلان ثوبيهما بينهما، فلا يتبايعانه ولا يطويانه^(٣)، ولتقومن الساعة وقد انصرف الرجل بلبن لقحته، فلا يطعمه، ولتقومن الساعة وهو يُليط حوضه، فلا يسقي فيه^(٤) ولتقومن الساعة وقد رفع أحدكم أكلته إلى فيه فلا يطعمها^(٥)".

١- أصغى ليتها: اللبت هو صفحة أو جانب العنق، وإصغاؤه: يعني إماليته.

٢- يلوط حوض إبله: أى يطينه ويصلحه.

٣- أى يتساوم البائع والمشتري في الثوب، فلا يتم بينهما ذلك من بغتة قيام الساعة.

٤- أى أن الرجل يصلح حوضه بالطين، فيسد شقوقه ليملاه ويسقي منه دوابه، فلا يسقي الدواب لقيام الساعة.

٥- أى تقوم الساعة من قبل أن يضع لقمته في فمه، أو قبل أن يمضغها أو يبتلعها.

وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " تقوم الساعة والرجل يحلب اللقحة فما يصل الإناء إلى فيه حتى تقوم، والرجلان يتبايعان الثوب فما يتبايعانه حتى تقوم، والرجل يلط في حوضه فما يصدر حتى تقوم " .

وقد ذكر رب العالمين في كتابه الكريم أن المرء لا يستطيع عند صيحة الصعق أن يوصي بشيء ولا يقدر على العودة إلى أهله؛ لأن الأمر أسرع من هذا.

قال تعالى: ﴿ مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ ﴾ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ

يَرْجِعُونَ ﴿ [يس: ٤٩، ٥٠]

س: ما هو اليوم الذي تقع فيه نفخة الصعق؟

ج: تقع نفخة الصَّعَق في يوم الجمعة، كما أخبر بذلك الحبيب النبي ﷺ.

فقد أخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " إن من أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه قبض، وفيه النفخة، وفيه الصعقة، فأكثروا علي من الصلاة فيه، فإن صلاتكم معروضة علي، فقالوا: يا رسول الله، وكيف تعرض صلاتنا عليك وقد أرمت؟ ^(١) قال: إن الله حرم على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ". (صحيح الجامع: ٢٢١٢)

- وأخرج الإمام مسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال النبي ﷺ: " خير يوم طلعت عليه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُدْخِل الجنة، وفيه أُخْرِج منها، ولا تقوم الساعة إلا يوم الجمعة " .

- وأخرج الطبراني في " الأوسط " عن أنس رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " عُرِضَت علي الأيام، فعرض علي فيها يوم الجمعة، فإذا هي كمرآة بيضاء، وإذا في وسطها نُكْة سوداء، فقلت: ما هذه؟ قيل: الساعة " . (السلسلة الصحيحة: ١٩٣٠) (صحيح الجامع: ٤٠٠٠)

١- أرمت: يعني بليت.

تنبيه:

الدواب تخاف يوم الجمعة من قيام الساعة، أما الإنس والجن فإنهم لا يبالون. فقد أخرج الإمام مالك وأحمد والترمذي عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: "خير يوم طلعت فيه الشمس يوم الجمعة، فيه خلق آدم، وفيه أُهبط، وفيه تيب عليه، وفيه قبض، وفيه تقوم الساعة، ما على وجه الأرض من دابةٍ إلا وهي تُصبح يوم الجمعة مُصيخةً^(١) حتى تطلع الشمس شفقاً من الساعة، إلا ابن آدم، - وفي رواية: إلا الجن والإنس -، وفيه ساعة لا يصادفها عبدٌ مؤمنٌ وهو في الصلاة يسأل الله شيئاً إلا أعطاه إياه."

(صحيح الجامع: ٣٣٣٤)

فائدة:

هذا الحديث يدل على أن الساعة ستقع وقت الفجر؛ لأن الدواب تظل في خوفها حتى تطلع الشمس، فإذا طلعت اطمأنت، ويدل على هذا أيضاً الحديث الذي أخرجه الطبراني عن ابن عمر - رضي الله عنهما - قال: قال رسول الله ﷺ: "ما هلك قوم لوط إلا في الأذان، ولا تقوم الساعة إلا في الأذان".

قال الطبراني - رحمه الله -: "معناه عندي والله أعلم وقت أذان الفجر، وهو وقت الاستغفار والدعاء".

س: ما عدد النفخات في الصور؟

ج: اختلف العلماء على عدد النفخات على قولين:

القول الأول: أنها ثلاث نفخات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة البعث، وهذا ما ذهب إليه

الإمام الطبري، وابن العربي، وشيخ الإسلام ابن تيمية، وابن كثير، والسفاري، ودليلهم: -

أن الله ﷻ فرّق بين الثلاث نفخات، فدلّل نفخة الفزع قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَنُزِعَ مَن فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧].

وأما الدليل على نفخة الصعق ونفخة البعث، فقولته تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَن فِي السَّمَاوَاتِ

وَمَن فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَن شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ يُنْفَخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨].

١ - مصيخة: مستمعة ومنصته ومنتظرة قيام الساعة.

واستدلوا كذلك ببعض الأحاديث التي نصّت على أن النفحات ثلاث، كحديث الصُّور وهو حديث طويل أخرجه البيهقي في " البعث والنشور " وأخرجه كذلك الطبري وفيه: " ثم ينفخ في الصُّور ثلاث نفحات: نفخة الفزع، ونفخة الصعق، ونفخة القيام لرب العالمين " .

القول الثاني: أنهما نفختان، أي أن إسرافيل ينفخ في الصُّور نفختين: النفخة الأولى يحصل بها الصعق، والنفخة الثانية يحصل بها البعث.

وهذا ما ذهب إليه الحافظ ابن حجر، والإمام القرطبي، وهذا هو الراجح، والذي تدل عليه ظاهر النصوص. منها قوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ (٦) تَتَّبِعُنَا الرَّادِفَةُ﴾ [النازعات: ٦-٧]

وقد سمّى القرآن الكريم النفخة الأولى: بالراجفة، والنفخة الثانية: بالرادفة.

ويدل على ذلك أيضاً قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ (٤٩) فَلَا يَسْتَطِيعُونَ تَوْصِيَةً وَلَا إِلَى أَهْلِهِمْ يَرْجِعُونَ (٥٠) وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَن بَعَثَنَا مِن مَّرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾ [يس: ٤٩ - ٥٢]

ففي قوله تعالى: ﴿مَا يَنْظُرُونَ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً تَأْخُذُهُمْ وَهُمْ يَخِصِّمُونَ﴾ هذه هي النفخة الأولى.

وأما قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ هذه هي النفخة الثانية.

• أما الأدلة النبوية التي تدل على أنهما نفختان: -

١- ما رواه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه عن النبي ﷺ قال: " ما بين النفختين أربعون، قالوا: يا أبا هريرة! أربعون يوماً؟ قال: أَبَيْتُ^(١) قالوا: أربعون شهراً؟ قال: أبيت، قالوا: أربعون سنة؟ قال: أبيت، ويبلى كل شيء من الإنسان إلا عَجْبُ ذنبه منه يركبُ الخلقُ " .

٢- وأخرج البيهقي عن ابن مسعود رضي الله عنه موقوفاً وله حكم الرفع أنه قال: " ثم يقوم ملك الصُّور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، والصُّور قرن، فلا يبقى خلق في السموات ولا في الأرض إلا مات إلا مَنْ شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون " .

٣- وأخرج الإمام أحمد وأبو داود والنسائي عن أوس بن أوس الثقفي رضي الله عنه عن الرسول ﷺ قال: " إن أفضل أيامكم يوم الجمعة، فيه الصعقة، وفيه النفخة " .
فكل هذه الأحاديث تدل على أنهما نفختان فقط، نفخة الصعق، ونفخة البعث.

١- أَبَيْتُ: أي أبيت أن أسأل رسول الله ﷺ عن ذلك. والله أعلم، فالحاصل أنه لا يعلم حقيقة الأربعين إلا رب العالمين، فإنه لم يرد فيها نص صريح صحيح. قال الحافظ ابن حجر في " الفتح " (٥٥٨/٨): وقوله: " أبيتُ"، (بالضم) أي: أن أقول ما لم أسمع، (وبالفتح) أي: أني أعرف ذلك، فإنه غيب.
- وقال النووي في " شرح مسلم " (٣٤٣/٩) معناه: " أبيتُ أن أجزم أن المراد أربعون يوماً، أو سنة، أو شهراً، بل الذي أجزم به أنها أربعون مجملة".
وقال البيهقي في " إثبات عذاب القبر " (ص ٢٢٢): " وكان أبا هريرة: لم يحفظ عن النبي ﷺ ما أراد بالأربعين، وأهل التفسير يقولون: هي أربعون سنة".
وقال القرطبي في " التذكرة " (ص ١٨٨): " وقول أبي هريرة: " أبيت"، فيه تأويلان: -
الأول: أبيتُ: أي امتنعت من بيان ذلك وتفسيره، وعلى هذا كان عنده علم من ذلك، الثاني: أبيت: أي أبيت أن أسأل عن ذلك النبي ﷺ، وعلى هذا لم يكن عنده علم من ذلك، ورجح القرطبي القول الأول حيث قال: " الأول أظهر، وإنما لم يبينه؛ ولأنه لم ترهق لذلك حاجة، لأنه ليس من البيّنات والهدى الذي أمر بتبليغه.

• الرد على الفريق الأول، والذين قالوا: إنها ثلاث نفخات: -

قال فريق من أهل العلم: " إنه لا تعارض بين قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَتَقَرَّبَ مِنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوْهُ دَاخِرِينَ﴾ [النمل: ٨٧]، وبين قوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨] إذ يمكن الجمع بين الفرع وبين الصعق وجعلهما نفخة واحدة، ولكنها تبدأ بالفرع وتنتهي بالصعق، ويدل على هذا الاستدلال؛ ما أخرجه الإمام مسلم عن عبد الله بن عمرو بن العاص - رضي الله عنهما - أنه سمع رسول الله ﷺ يقول: " ثم ينفخ في الصور، فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتها^(١)، ورفع ليتها، فأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق، ويصعق الناس ".

فهذا التسمع والإصغاء يدل على أن بداية النفخة ليست كنهايتها في القوة والشدة، حتى أن الصوت لم يشمل كل الناس عند بدايته؛ كما قال النبي ﷺ: " وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله... ". فلو كانت بداية النفخة بالصعقة المميتة؛ لمات الناس على إثرها، وما بقي فسحة لهذا التسمع، والإصغاء. (رحلة قبل الرحيل لبشير بن عبد الله: ص ٣٩)

إذاً الاستدلال بالآية التي تذكر نفخة الفرع فليست صريحة على أنها نفخة مستقلة، إذ لا يلزم من ذكر الله تعالى للفرع الذي يصيب من في السموات والأرض عند النفخ في الصور، أن تجعل هذه نفخة مستقلة، فالنفخة الأولى تفرع الأحياء قبل صعقهم، والنفخة الثانية تفرع الناس عند بعثهم.

يقول الحافظ ابن حجر - رحمه الله - كما في " فتح الباري " (١ / ٣٦٩):

" ولا يلزم من المغايرة بين الصعق والفرع أن لا يحصل معاً في النفخة الأولى ". اهـ. بتصرف وقال القرطبي - رحمه الله - كما في " التذكرة " (ص ١٨٤):

" ونفخة الفرع هي نفخة الصعق؛ لأن الأمرين لازمان لها، أي: فزعوا فزعاً ماتوا منه ". اهـ.

- أما استدلال الفريق الأول بحديث الصُّور الطويل، والذي أخرجه البيهقي والطبري وذكر فيه الثلاث نفخات، فهو حديث ضعيف ضعفه البيهقي نفسه، والحافظ ابن حجر؛ وعليه يسقط الاستدلال بمثل هذا الحديث.

وبهذا يتبين لنا أن القول الثاني هو الأرجح في كون عدد النفخات في الصُّور نفختان: نفخة الصعق لإنهاء الحياة، ونفخة البعث لعودة الحياة للمجازاة والحساب. والله أعلم.

تنبيه:

ذهب ابن حزم -رحمه الله- إلى: " أن نفخات يوم القيامة أربع: الأولى نفخة إماتة، والثانية نفخة إحياء، يقوم بها كل ميت، وينشرون من القبور، ويجمعون للحساب، والثالثة نفخة فزع وصعق، يفيقون منها كالمغشي عليه، لا يموت منها أحد، والرابعة نفخة إفاقة من ذلك الغشي "

قال ابن حجر -رحمه الله- بعد أن حكى مقالة ابن حزم:

" هذا الذي ذكره من كون التنتين أربعاً ليس بواضح، بل هما نفختان فقط، ووقع التغاير في كل واحد منهما باعتبار مَنْ يستمعها، فالأولى يموت فيها كل مَنْ كان حياً، ويُغشى على مَنْ لم يموت ممن استثنى الله. والثانية: يعيش بها مَنْ مات، ويفيق بها من غشي عليه، والله أعلم. " (فتح الباري: ٤٤٦/٦)

تمة:

• الآيات التي يقصد بها النفخة الأولى:

١- قوله تعالى: ﴿وَيَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ فَفَرَجَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ وَكُلُّ أَتَوٍّ دَاخِرِينَ﴾

[النمل: ٨٧]

٢- وقوله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾

[الزمر: ٦٨]

٣- قوله تعالى: ﴿وَمَا يَنْظُرُ هَؤُلَاءِ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً مَّا لَهَا مِنْ فَوَاقٍ﴾ [ص: ١٥]

٤- وقوله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ﴾ [النازعات: ١٣]

٥- وقوله تعالى: ﴿يَوْمَ تَرْجُفُ الرَّاجِفَةُ﴾ [النازعات: ٦]

• أما الآيات التي يقصد بها النفخة الثانية:

- ١ - فقله تعالى: ﴿فَإِنَّمَا هِيَ زَجْرَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ يَنْظُرُونَ﴾ [الصافات: ١٩]
- ٢ - وقله تعالى: ﴿وَتَرَكْنَا بَعْضَهُمْ يَوْمَئِذٍ يَمُوجُ فِي بَعْضٍ وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَجَمَعْنَاهُمْ جَمْعًا﴾ [الكهف: ٩٩]
- ٣ - وقله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَى رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ﴾ [يس: ٥١]
- ٤ - وقله تعالى: ﴿إِنْ كَانَتْ إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥٣]
- ٥ - وقله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ قَاتُونَ أَفْوَاجًا﴾ [النبأ: ١٨]
- ٦ - وقله تعالى: ﴿يَوْمَ يُنْفَخُ فِي الصُّورِ وَنَحْشُرُ الْمُجْرِمِينَ يَوْمَئِذٍ زُرْقًا﴾ [طه: ١٠٢]
- ٧ - وقله تعالى: ﴿فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ فَلَا أَنْسَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ وَلَا يَتَسَاءَلُونَ﴾ [المؤمنون: ١٠١]
- قال الشنقيطي كما في "أضواء البيان" (٥/ ١٢٢): "إنها النفخة الثانية".
- ٨ - وقله تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ ذَلِكَ يَوْمُ الْوَعِيدِ﴾ [ق: ٢٠]
- قال الشوكاني كما في "فتح القدير" (٥/ ٧٦): "وهذه هي النفخة الآخرة للبعث"
- ٩ - وقله تعالى: ﴿يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ﴾ [ق: ٤٢]

س: ما حال إسرافيل الآن؟

ج: أخبرنا الحبيب النبي ﷺ أن إسرافيل في تأهب تام للنفخ في الصور، حيث التقم القرن، وهو ينظر إلى العرش ولا تطرف عينه خشية أن يأتيه الأمر فجأة.

فقد أخرج الترمذي وابن حبان والحاكم عن أبي سعيد الخدري رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ:

"كيف أنعم^(١)، وقد التقم صاحب القرن القرن، وحنى جبهته^(٢)، وأصغى سمعه، ينتظر أن يؤمر أن ينفخ، قال المسلمون: فكيف نقول يا رسول الله؟ قال: قولوا: حسبنا الله ونعم الوكيل، توكلنا على الله ربنا". (السلسلة الصحيحة: ١٠٧٩)

وفى رواية أخرى عند الحاكم في "المستدرک" من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: "إن طَرفَ صاحبِ الصورِ منذُ وُكِّلَ بهِ مستعدٌ ينظرُ نحوَ العرشِ، مخافةُ أنْ يؤمرَ قبلَ أنْ يَرتدَ إليه طَرفُهُ، كأنَّ عينيه كوكبانِ دُرِّيَّانِ". (السلسلة الصحيحة: ١٠٧٨)

١ - كيف أنعم: أي كيف أهنا وأعطى بالنعيم الجزيلة.
٢ - حنى جبهته: أي مال لانتظار الإذن.

س: مَنْ الَّذِي يُسْتَنْتَى مِنَ الصَّعَقِ؟

قال تعالى: ﴿وَنُفِخَ فِي الصُّورِ فَصَعِقَ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِخَ فِيهِ أُخْرَى فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ

يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

• وقد اختلف أهل العلم في تعيين الذين عناهم الله تعالى بالاستثناء، في قوله: ﴿إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ﴾

فذهب بعض أهل العلم إلى: "أنهم الملائكة". (قاله ابن حزم)

وخصَّ البعض منهم: "جبريل، وميكائيل، وإسرافيل". (قاله مقاتل... وغيره)

وأضاف البعض: "حملة العرش".

وذهب البعض إلى أنهما: "رضوان، ومالك -خزنة الجنة والنار-". (قاله الضحاك بن مزاحم... وغيره)

وذهب البعض إلى أن: "المستثنى: المراد بهم الذين في الجنة من الحور العين، والولدان".

(قاله الإمام أحمد)

وذهب البعض إلى أن: "المقصود بالمستثنى: هم الأموات لأنهم لا يصعقون"

(قاله أبو العباس القرطبي "صاحب المفهم" على شرح مسلم).

وذهب البعض إلى أن: "المقصود بالمستثنى: هي الأرواح؛ لأنها لا تموت". (قاله ابن القيم)

وذهب البعض إلى أن: "المقصود بالمستثنى: هم الشهداء؛ لأن الشهداء أحياء عند ربهم يرزقون"

وذهب بعض أهل العلم إلى أن: "الأولى بالمسلم التوقف في تعيين الذين استثناهم الله، لأنه لم

يصح في ذلك نص يدل على المراد - وهذا هو الراجح.

والذي يدل على هذا القول الراجح:

ما أخرجه البخاري ومسلم من حديث أبي سعيد الخدري رضي الله عنه أنه قال: قال رسول الله ﷺ:
" لا تُخبروا بين الأنبياء، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأكون أول من تنشق عنه
الأرض فإذا موسى آخذ بقائمة من قوائم العرش، فلا أدري كان فيمن صعق، أم حوسب
بصعقته الأولى؟".

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تخبروني على
موسى، فإن الناس يصعقون يوم القيامة، فأصعق معهم، فأكون أول من يفيق، فإذا
موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق قبلي، أو كان ممن استثنى
الله؟ ".

- وأخرج البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " لا تفضلوا بين أنبياء
الله، فإنه ينفخ في الصور؛ فيصعق من في السموات ومن في الأرض إلا ما شاء الله، ثم
ينفخ فيه أخرى، فأكون أول من بُعث، فإذا موسى آخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقته
يوم الطور، أم بُعث قبلي، ولا أقول إن أحداً أفضل من يونس بن متى ".

قال شيخ الإسلام ابن تيمية -رحمه الله- كما في " مجموع الفتاوى " (٢٦١/٤):

" وأما الاستثناء فهو متناول لمن في الجنة من الحور العين، فإن الجنة ليس فيها موت، ومتناول لغيرهم
ولا يمكن الجزم بكل ما استثناه الله، فإن الله أطلق في كتابه...، والنبى ﷺ قد توقف في موسى، وهل
هو داخل في الاستثناء فيمن استثناه الله أم لا؟ فإذا كان النبى ﷺ لم يُخبر بكل من استثنى الله، لم
يمكننا نحن أن نجزم بذلك، وصار هذا مثل العلم بوقت الساعة وأعيان الأنبياء، وأمثال ذلك مما لم
يخبر الله به، وهذا العلم لا ينال إلا بالخبر. والله أعلم.

تنبيه:

حديث الصُّور مع شهرته وانتشاره؛ إلا أنه حديث لا يصح عن النبي ﷺ.

والحديث أخرجه البيهقي في "البعث"، والطبري في "تفسيره"، والطبراني وغيرهم وفيه:

أنه ﷺ قال: "إِذَا مَاتَ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَكُلُّ مَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ، جَاءَ مَلَكُ الْمَوْتِ إِلَى الْمَلِكِ ﷺ، فَقَالَ مَلِكُ الْمَوْتِ: يَا رَبِّ، مَاتَ كُلُّ مَنْ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شِئْتَ، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: مَنْ بَقِيَ؟ وَهُوَ أَعْلَمُ ﷻ، فَيَقُولُ مَلَكُ الْمَوْتِ: جَبْرِيلُ وَإِسْرَافِيلُ وَمِيكَائِيلُ وَحَمَلَةُ الْعَرْشِ، وَبَقِيْتُ أَنَا - يَعْنِي مَلَكُ الْمَوْتِ -، فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: لِيَمُتْ جَبْرِيلُ؛ فَيَمُوتُ جَبْرِيلُ، وَلِيَمُتْ مِيكَائِيلُ؛ فَيَمُوتُ مِيكَائِيلُ، لِيَمُتْ إِسْرَافِيلُ؛ فَيَمُوتُ إِسْرَافِيلُ، لِيَمُتْ حَمَلَةُ الْعَرْشِ؛ فَيَمُوتُ حَمَلَةُ الْعَرْشِ وَيَبْقَى مَلَكُ الْمَوْتِ، فَيَقُولُ اللَّهُ لِمَلِكِ الْمَوْتِ: يَا مَلَكُ الْمَوْتِ، وَأَنْتَ خَلَقْتَ مِنْ خَلْقِي، وَخُلِقْتَ لِمَا تَرَى؛ فَمَتَّ يَا مَلَكُ الْمَوْتِ؛ فَيَمُوتُ مَلَكُ الْمَوْتِ وَيَبْقَى مَلَكُ الْمَلُوكِ، فَيَقُولُ الْمَلِكُ ﷻ: "لَمَنْ الْمَلِكُ الْيَوْمَ؟ فَلَا يَرِدُ أَحَدٌ فَيَقُولُ اللَّهُ ﷻ: ﴿الْمَلِكُ الْيَوْمَ لِلَّهِ الْوَاحِدِ الْقَهَّارِ﴾". [غافر: ١٦].

• وبعد النفخ في الصُّور وصعق الخلائق لم يبقَ إلا الخالق سبحانه.

وبعد نفخة الصعق تموت الخلائق كلها... يموت كل حي ويبقى الحي الذي لا يموت (جلّ وعلا)؛ فيصبح الكون كله في سكون رهيب موحش، فيطوي الله السماوات بيمينه، ويطوي الأرض بشماله، ويقول: "أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

كما جاء في الحديث الذي أخرجه الإمام مسلم من حديث ابن عمر -رضي الله عنهما- أنه قال: قال رسول الله ﷺ: "يطوي الله السماوات يوم القيامة، ثم يأخذهن بيده اليمنى، ثم يقول: أنا الملك أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ ثم يطوي الأرضين، ثم يأخذهن بشماله، ثم يقول: أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟".

- وفي "الصحيحين" من حديث أبي هريرة ؓ قال: قال رسول الله ﷺ: "يقبض الله تعالى الأرض، ويطوي السماء بيمينه، ثم يقول: أنا الملك، أين ملوك الأرض؟".

- وأخرج مسلم وأحمد والنسائي عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: "إن رسول الله ﷺ قرأ هذه الآية ذات يوم على المنبر: ﴿وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالْأَرْضُ جَمِيعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَاوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمِينِهِ سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ﴾ [الزمر: ٦٧]، ورسول الله ﷺ يقول هكذا بيده، يحركها، يقبل بها ويدبر، يمجّد الرب نفسه: أنا الجبار، أنا المتكبر، أنا الملك، أنا العزيز، أنا الكريم، فرجف برسول الله ﷺ المنبر، حتى قلنا: ليخرنّ به".

- وأخرج ابن ماجه والطبراني في "الكبير" عن ابن عمر -رضي الله عنهما- قال: سمعت رسول الله ﷺ وهو على المنبر يقول: "يأخذ الجبار سماواته وأرضيه بيده، وقبض يده، فجعل يقبضها ويبسطها، ثم يقول: أنا الجبار، أنا الملك، أين الجبارون؟ أين المتكبرون؟ قال: ويتمايل رسول الله ﷺ عن يمينه وشماله، حتى نظرت إلى المنبر يتحرك من أسفل شيء منه، حتى إني لأقول: أساقط هو برسول الله ﷺ؟".

• فالكل سيموت إلا ذي العزة والجبروت:

قال تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ (٢٦) وَيَبْقَى وَجْهُ رَبِّكَ ذُو الْجَلَالِ وَالْإِكْرَامِ﴾ [الرحمن: ٢٦، ٢٧]

وقال تعالى: ﴿كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ لَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [القصاص: ٨٨]

ثم يأمر الله ﷻ إسرائيل بأن ينفخ في الصور نفخة البعث؛ لتقوم الخلائق كلها إلى أرض المحشر للفصل والحساب، كما قال الملك الوهاب: ﴿الْيَوْمَ تُجْزَى كُلُّ نَفْسٍ بِمَا كَسَبَتْ لَا ظُلْمَ الْيَوْمَ إِنَّ اللَّهَ سَرِيعُ الْحِسَابِ (١٧) وَأَنْذِرْهُمْ يَوْمَ الْآزِفَةِ إِذِ الْقُلُوبُ لَدَى الْحَنَاجِرِ كَاطْمِينَ مَا لِلظَّالِمِينَ مِنْ حَمِيمٍ وَلَا شَفِيعٍ يُطَاعُ (١٨) يَعْلَمُ خَائِنَةَ الْأَعْيُنِ وَمَا تُخْفِي الصُّدُورُ﴾ [غافر: ١٧-١٩]

وهذه هي النفخة الثانية، وهي نفخة البعث والنشور، ولنا معها وقفة.

ثانياً: نفخة البعث والنشور

والبعث مرادف للنشور في المعنى، وهو إعادة المخلوقات بعد فنائها وذلك للحساب والجزاء، فبعد نفخة الصعق، وانتهاء الحياة في السموات والأرض، يُنزل الله ﷻ مطراً من السماء كالطَّل؛ تنبت منه أجساد الخلائق، كما جاء في " صحيح مسلم " من حديث عبد الله بن عمرو -رضي الله عنهما- **أن النبي ﷺ قال: " ثم ينفخ في الصور فلا يسمعه أحد إلا أصغى ليتهاً، ورفع ليتهاً، قال: وأول من يسمعه رجل يلوط حوض إبله، قال: فيصعق ويصعق الناس، ثم يرسل الله- أو قال: ينزل الله- مطراً كأنه الطَّل أو الظِّل^(١)، فتنبت منه أجساد الناس "**.

- وتنبت أجساد الناس من عظمة لا تزيد عن حبة العدس في أسفل الصلب، تُسمَّى: " عَجْبُ الذَّنْبِ " كما جاء في الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة ؓ أن النبي ﷺ قال: **" وليس من الإنسان شيء إلا بلي، إلا عظم واحد، وهو عَجْبُ الذَّنْبِ^(٢)، منه يركب الخلق يوم القيامة "**.

وفى رواية عند " الشيخين " : **" كل ابن آدم يأكله التراب، إلا عَجْبُ الذَّنْبِ، منه خلق، منه يركب يوم القيامة^(٣) "**.

وفى رواية عند مسلم: **" إن في الإنسان عظماً لا تأكله الأرض أبداً، فيه يركب يوم القيامة قالوا: أي عظم هو يا رسول الله؟ قال عَجْبُ الذَّنْبِ "**.

تنبيه:

أجساد الأنبياء لا تبلى كما تبلى أجساد البشر، وهذه من الأمور التي خصَّ الله بها أنبياءه.

فقد أخرج أبو داود وابن خزيمة بسند صحيح عن أوس بن أوس ؓ أن النبي ﷺ قال: " إن الله حَرَّمَ على الأرض أن تأكل أجساد الأنبياء ".

١- " كأنه الطَّل أو الظِّل: هو الندى الذي ينزل من السماء من الصحو، وهو أضعف من المطر وجمعه طلال، وقوله: " كأنه الطَّل أو الظِّل " فهذا الشك من نعمان بن سالم وهو أحد رواة الحديث، والراجح: أنه " الطَّل " كما قال النووي -رحمه الله- في " شرحه على مسلم " (٧٧/١٨): قال العلماء: " الأصح بالطاء المهملة، وهو الموافق للحديث الآخر: " كمني الرجل " اهـ.

فقد روي في الحديث الذي أخرجه الحاكم عن عبد الله بن مسعود ؓ أنه قال: " تقوم الساعة على شرار الناس، ثم ينفخ ملك في الصور بين السماء والأرض، فلا يبقى خلق في السموات والأرض إلا مات، إلا من شاء ربك، ثم يكون بين النفختين ما شاء الله أن يكون، فليس من بني آدم خلق إلا وفي الأرض منه شيء، ثم يرسل الله ماء من تحت العرش، كمني الرجال، فتنبت جسامانهم ولحمانهم من ذلك الماء، كما تنبت الأرض من الري، ثم قرأ عبد الله: {وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتَنبِئُ سَحَاباً فُسْقَنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ} [فاطر: ٩]، ثم يقوم ملك بالصور بين السماء والأرض، فينفخ فيه، فتنتطق كل نفس إلى جسدها حتى تدخل فيه، فيقومون فيجيبون تجيبة رجل واحد قياماً لرب العالمين "

٢- قال النووي كما في " شرح مسلم " (٣٤٣/١٨): قوله: " عَجْبُ الذَّنْبِ " هو يفتح العين، وإسكان الجيم، أي العظم اللطيف الذي في أسفل الصلب، وهو رأس العصب، ويقال له: " عجم " بالميم، وهو أول ما يُخلَق من الأدمي، وهو عظم الصلب المستدير الذي يكون في أصل العجز، أي العظمة الناتئة أسفل الظهر في أصل العصب، قدر الخردل.

٣- قال ابن عقيل الحنبلي: " وهذا سر لا نعلمه؛ لأن من يظهر الوجود من عدم لا يحتاج إلى شيء يبنى عليه.

وبعد نزول المطر وعودة أجساد الخلائق واكتمالها كهيئتهم يوم دُفِنُوا، يأمر الله ﷻ إسرائيل أن ينفخ في الصور النفخة الثانية، والتي على إثرها تعود الأرواح إلى الأجساد التي كانت فيها قبل الموت، لا تخطئ روح جسدها، ويقوم الناس لرب العالمين، كما قال في كتابه الكريم: ﴿وَنُفِّخُ فِي الصُّورِ فَصَبَقَ مَنْ فِي

السَّمَاوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ ثُمَّ نُفِّخُ فِيهِ أُخْرَىٰ فَإِذَا هُمْ قِيَامٌ يَنْظُرُونَ﴾ [الزمر: ٦٨]

وقال تعالى: ﴿وَاسْمِعْ يَوْمَ يُنَادِ الْمُنَادِ مِنْ مَكَانٍ قَرِيبٍ (٤١) يَوْمَ يَسْمَعُونَ الصَّيْحَةَ بِالْحَقِّ ذَلِكَ يَوْمُ الْخُرُوجِ (٤٢) إِنَّا نَحْنُ نُحْيِي وَنُمِيتُ وَإِلَيْنَا الْمَصِيرُ (٤٣) يَوْمَ تَشْقَى الْأَرْضُ عَنْهُمْ سِرَاعًا ذَلِكَ حَشْرٌ عَلَيْنَا يَسِيرُ﴾ [ق: ٤١-٤٤]

وقال تعالى: ﴿يَوْمَ يَدْعُوكُمْ فَتَسْتَجِيبُونَ بِحَمْدِهِ وَتَظُنُّونَ إِن لَّبِثُمْ إِلَّا قَلِيلًا﴾ [الإسراء: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ﴾ [الروم: ٢٥]

وقال تعالى: ﴿وَنُفِّخُ فِي الصُّورِ فَإِذَا هُمْ مِنَ الْأَجْدَاثِ إِلَىٰ رَبِّهِمْ يَنْسِلُونَ (٥١) قَالُوا يَا وَيْلَنَا مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ (٥٢) إِنْ كُنْتُمْ إِلَّا صَيْحَةٌ وَاحِدَةٌ فَإِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا مُحْضَرُونَ﴾ [يس: ٥١-٥٣]

يا لها من آيات تخلع القلوب، فالمشهد يبدأ في الدنيا وينتهي في الآخرة، فالعالم الحاضر والعالم الآخر الفاصل بينهما هو ما بين نفخة الصعق ونفخة البعث، فنفخة الصعق يموت عند سماعها أهل الأرض والسموات إلا مَنْ شاء الله، ثم تكون نفخة البعث والتي على إثرها يستيقظ الناس من قبورهم يمضون سراعاً وهم في دهش يتساءلون ﴿مَنْ بَعَثَنَا مِنْ مَرْقَدِنَا هَذَا﴾؟ ثم يفركون عيونهم فيتأكدون:

﴿هَذَا مَا وَعَدَ الرَّحْمَنُ وَصَدَقَ الْمُرْسَلُونَ﴾، ثم يبدأ الناس في اتباع الداعي الذي يقودهم إلى أرض

المحشر للوقوف بين يدي الله ﷻ، قال تعالى: ﴿يَوْمَئِذٍ يَتَّبِعُونَ الدَّاعِيَ لَا عِوَجَ لَهُ وَخَشَعَتِ الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا (١٠٨) يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ إِلَّا مَنْ أَذِنَ لَهُ الرَّحْمَنُ وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا (١٠٩) يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا (١١٠) وَعَنَتِ الْوُجُوهُ لِلْحَيِّ الْقَيُّومِ وَقَدْ خَابَ مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا (١١١) وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا﴾ [طه: ١٠٨-١١٢]

• الحكمة من البعث والنشور:

والحكمة من إعادة المخلوقات بعد فنائها؛ هي مجازاة الناس بأعمالهم، كما قال تعالى:

﴿... لِيَجْزِيَ الَّذِينَ أَسَاءُوا بِمَا عَمِلُوا وَيَجْزِيَ الَّذِينَ أَحْسَنُوا بِالْحُسْنَى﴾ [النجم: ٣١]

فالناس يعيشون في هذه الحياة الدنيا متفاوتين تفاوتاً كبيراً في أرزاقهم، وآجالهم، وأعمالهم، وفي سعادتهم، وشقائهم، فمنهم الظالم الغشوم، ومنهم المظلوم المهضوم، ومنهم الصحيح السليم، ومنهم المريض السقيم، ومنهم الغني الثري، ومنهم الفقير الشقي، ومنهم العزيز، ومنهم الذليل، ومنهم المحسن، ومنهم المسيء، إلى غير هذا من التفاوت والاختلاف، فلو أنهم يموتون بانقضاء آجالهم، ولا يبعثون؛ لكان ذلك منافياً للحكمة، مجانباً للعدل والرحمة، ومن هنا قضى الله - تبارك وتعالى - بالبعث والجزاء، وحكم بهما، فهما كائنان لا محالة، فقد أمر رسوله محمداً ﷺ أن يقسم عليهما، في قوله من سورة

التغابن: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ وَذَكَرَ اللَّهُ يَسِيرٌ﴾ [التغابن: ٧]

(عقيدة المؤمن: ص ٣٢٩)

وقال تعالى: ﴿إِذَا زُلْزِلَتِ الْأَرْضُ زِلْزَالَهَا (١) وَأُخْرِجَتِ الْأَرْضُ أَثْقَالَهَا (٢) وَقَالَ الْإِنْسَانُ مَا لَهَا (٣) يَوْمَئِذٍ تُحَدِّثُ أَخْبَارَهَا (٤) بِأَنَّ رَبَّكَ أَوْحَىٰ لَهَا (٥) يَوْمَئِذٍ يَصْدُرُ النَّاسُ أَشْتَاتًا لِيُرَوْا أَعْمَالَهُمْ (٦) فَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ خَيْرًا يَرَهُ (٧) وَمَنْ يَعْمَلْ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ شَرًّا يَرَهُ﴾ [الزلزلة: ١-٨]

• ليس هناك موت بعد النفخة الثانية:

عندما يقوم الناس جميعاً لرب العالمين بعد النفخة الثانية؛ فإنهم لا يموتون بعد ذلك أبداً ويدل على

ذلك قوله تعالى حاكياً عن أهل النار: ﴿وَيَأْتِيهِ الْمَوْتُ مِنْ كُلِّ مَكَانٍ وَمَا هُوَ بِمَيِّتٍ﴾ [إبراهيم: ١٧]

فالموت بالنسبة لهؤلاء أمنية ﴿وَنَادُوا يَا مَلِكُ لِيَقْضِ عَلَيْنَا رُكُوتًا﴾؛ فيجيبهم مالك ويقول: ﴿إِنَّكُمْ مَّا كُنْتُمْ

[الزخرف: ٧٧]

وفى الحديث الذي أخرجه الحاكم عن عمرو بن ميمون الأودي قال: "قام فينا معاذ بن جبل رضي الله عنه فقال: يا بني أود، إني رسول رسول الله ﷺ، تعلمون المعاد إلى الله، ثم إلى الجنة أو النار، وإقامة لا ظعن فيه، وخلود لا موت، في أجساد لا تموت".

وكان الحسن البصري -رحمه الله- يقول:

" يا ابن آدم... اعلم أنك تموت وحدك، وستحشر وحدك، وستحاسب وحدك.

يا ابن آدم... لو أن أهل الأرض جميعاً أطاعوا الله وعصيت أنت لن تنفك طاعتهم.

يا ابن آدم... لو أن أهل الأرض جميعاً عصوا الله وأطعت أنت لن تضرك معصيتهم.

يا ابن آدم... دينك... دينك؛ فإنما هو لحمك ودمك، فإذا سلم لك دينك؛ سلم لك لحمك ودمك، وإن تكن الأخرى فاستعذ بالله منها، فإنما هي نار لا تطفأ، وجسم لا يبلى، ونفس لا تموت.

• أول من تنشق عنه الأرض

أول من يبعث وتنشق عنه الأرض هو نبينا محمد ﷺ

ففي " صحيح مسلم " عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: قال رسول الله ﷺ: " أنا سيّد ولدِ آدم يوم القيامة، وأول من ينشق عنه القبر، وأول شافعٍ، وأول مُشَفِّعٍ ".

وفي " صحيح البخاري " ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه قال: " استبَّ رجل من المسلمين، ورجل من اليهود، فقال المسلم: والذي اصطفى محمداً على العالمين، فقال اليهودي: والذي اصطفى موسى على العالمين، فرفع المسلم عند ذلك يده؛ فلطم اليهودي، فذهب اليهودي إلى رسول الله ﷺ فأخبره الذي كان من أمره وأمر المسلم، فقال: لا تُخبروني على موسى، فإن الناس يصعقون، فأكون أول من يفيق، فإذا موسى باطش بجانب العرش، فلا أدري أكان فيمن صعق فأفاق، أو كان ممن استثنى الله ﷻ ".

وفي رواية لهما: " ... فإنه ينفخ في الصور؛ فيصعق من في السماوات ومن في الأرض إلا من شاء الله، ثم يُنفخ فيه أخرى؛ فأكون أول من يبعث، فإذا موسى أخذ بالعرش، فلا أدري أحوسب بصعقة الطور، أم بُعث قبلي؟ ".

وفي هذا يقول النبي ﷺ: " أنا الحاشر الذي يُحشر الناس على قدمي " . (أخرجه البخاري ومسلم)

ومعنى الحديث: يحشر الناس على أثري، فالناس يحشرون بعد قيام النبي ﷺ، ويحشرون وراءه.

المُكَذِّبُونَ بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ ^(١)

كَذَّبَ كَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ قَدِيمًا وَحَدِيثًا بِالْبَعْثِ وَالنَّشُورِ، وَقَدْ أَخْبَرَنَا اللَّهُ تَعَالَى عَنْهُمْ، قَالَ تَعَالَى:

﴿وَإِنْ تَعْجَبْ فَعَجَبٌ قَوْلُهُمْ أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا أَئِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِرَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ الْأَغْلَالُ فِي أَعْنَاقِهِمْ وَأُولَئِكَ أَصْحَابُ النَّارِ هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ﴾ [الرعد: ٥٠]، وَقَالَ: ﴿وَقَالُوا إِن هِيَ إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ (٢٩) وَلَوْ تَرَى إِذْ وَقَعُوا عَلَى رَبِّهِمْ قَالَ أَلَيْسَ هَذَا بِالْحَقِّ قَالُوا بَلَى وَرَبَّنَا قَالَ فَذُوقُوا الْعَذَابَ بِمَا كُنتُمْ تَكْفُرُونَ﴾

[الأنعام: ٢٩-٣٠]

وَقَالَ تَعَالَى: ﴿وَقَالُوا أَئِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنَّا لَمَبْعُوثُونَ خَلْقًا جَدِيدًا (٤٩) قُلْ كُونُوا حِجَارَةً أَوْ حَدِيدًا (٥٠) أَوْ خَلْقًا مِمَّا يَكْبُرُ فِي صُدُورِكُمْ فَسَيَقُولُونَ مَنْ يُعِيدُنَا قُلِ الَّذِي فَطَرَكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ فَسَيُنْغِضُونَ إِلَيْكَ رُءُوسَهُمْ وَيَقُولُونَ مَتَى هُوَ قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ قَرِيبًا﴾ [الإسراء: ٤٩-٥١]. والنصوص في ذلك كثيرة.

ويمكننا أن نصنف المكذبين بالبعث والنشور إلى ثلاثة أصناف: -

الأول: الملاحدة الذين أنكروا وجود الخالق، ومن هؤلاء كثير من الفلاسفة الدهرية الطبايعية، ومنهم الشيوعيون في عصرنا، وهؤلاء ينكرون صدور الخلق عن خالق، فهم منكرون للنشأة الأولى والثانية، ومنكرون لوجود الخالق أصلاً.

ولا يحسن مناقشة هؤلاء في أمر المعاد، بل يُناقشون في وجود الخالق ووحدانيته أولاً، ثم يأتي إثبات المعاد بعد ذلك، لأن الإيمان بالمعاد فرع الإيمان بالله.

الثاني: الذين يعترفون بوجود الخالق، ولكنهم يُكذِّبون بالبعث والنشور، ومن هؤلاء العرب الذين قال الله فيهم: ﴿وَلَمَّا سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ﴾ [لقمان: ٢٥]، وهم القائلون فيما حكاه الله عنهم: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَئِذَا كُنَّا تُرَابًا وَآبَاءُنَا أَئِنَّا لَمُخْرَجُونَ (٦٧) لَقَدْ وَعَدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ﴾ [النمل: ٦٧-٦٨].

وهؤلاء يدَّعون أنهم يؤمنون بالله، ولكنهم يدَّعون أن قدرة الله عاجزة عن إحيائهم بعد إيمانهم، وهؤلاء هم الذين ضرب الله لهم الأمثال، وساق لهم الحجج والبراهين لبيان قدرته على البعث والنشور، وأنه لا يعجزه شيء، ومن هؤلاء طائفة من اليهود يُسمون بالصادوقيين، يزعمون أنهم لا يؤمنون إلا بتوراة موسى، وهم يكذبون بالبعث والنشور والجنة والنار.

الثالث: الذين يؤمنون بالمعاد على غير الصفة التي جاءت بها الشرائع السماوية.

أدلة البعث والنشور

الإيمان بالمعاد أوجبه القرآن الكريم والسنة النبوية الشريفة، ودلا عليه دلالة قاطعة، والقرآن كله من فاتحته إلى خاتمته مملوء بذكر أحوال اليوم الآخر، وتفاصيل ما فيه، وتقرير ذلك بالأخبار الصادقة والأمثال المضروبة للاعتبار والإرشاد، وكما ذكر القرآن الأدلة عليه، رد على منكريه، وبين كذبهم وافتراءهم.

أولاً: إخبار العليم الخبير بوقوع القيامة:

أعظم الأدلة الدالة على وقوع المعاد؛ إخبار الحق - تبارك وتعالى - بذلك، فمن آمن بالله، وصدق برسوله الذي أرسل، وكتابه الذي أنزل، فلا مناص له من الإيمان بما أخبرنا به من البعث والنشور، والجزاء والحساب، والجنة والنار.

وقد نوع الحق - تبارك وتعالى - أساليب الإخبار؛ ليكون أوقع في النفوس وأكد في القلوب.

١- ففي بعض المواضع يخبرنا بوقوع ذلك اليوم إخباراً مؤكداً بـ(إن)، أو بـ(إن واللام)، كقوله تعالى: ﴿إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا﴾ [طه: ١٥]، وقوله: ﴿وَإِنَّ السَّاعَةَ لَآتِيَةٌ فَاصْصَبْ الصَّبْرَ الْجَمِيلَ﴾ [الحجر: ٨٥].
وقوله: ﴿إِنْ مَا تُوعَدُونَ لَآتٍ﴾ [الأنعام: ١٣٤]. وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَوَاقِعٌ﴾ [المرسلات: ٧].

٢- وفي مواضع أخرى يقسم الله تعالى على وقوعه ومجيئه، كقوله تعالى: ﴿اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لِيَجْمَعَنَّكُمْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ لَا رَيْبَ فِيهِ﴾ [النساء: ٨٧]. ويقسم على تحقق ذلك بما شاء من مخلوقاته، كقوله:

﴿وَالذَّارِيَاتِ ذُرُوءًا (١) فَالْحَامِلَاتِ وِقْرًا (٢) فَالْجَارِيَاتِ يُسْرًا (٣) فَالْمُقَسَّمَاتِ أَمْرًا (٤) إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ (٥) وَإِنَّ الدِّينَ لَوَاقِعٌ﴾ [الذاريات: ١-٦]. وقوله: ﴿وَالطُّورِ (١) وَكِتَابٍ مُنْقُوشٍ (٢) فِي رَقٍّ مَنْشُورٍ (٣) وَالْبَيْتِ الْمَعْمُورِ (٤) وَالسَّقْفِ الْمَرْفُوعِ (٥) وَالْبَحْرِ الْمَسْجُورِ (٦) إِنَّ عَذَابَ رَبِّكَ لَوَاقِعٌ (٧) مَا لَهُ مِنْ دَافِعٍ﴾ [الطور: ١-٨].

٣- وفي بعض المواضع يأمر رسوله بالإقسام على وقوع البعث وتحققه، وذلك في معرض الرد على المكذبين به المنكرين له، كقوله: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتَأْتِيَنَّكُمْ﴾ [سبأ: ٣]. وقوله: ﴿وَيَسْتَنْبِئُونَكَ أَحَقُّ هُوَ قُلْ إِي وَرَبِّي إِنَّهُ لَحَقٌّ﴾ [يونس: ٥٣]. وقوله: ﴿زَعَمَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ لَنْ يُبْعَثُوا قُلْ بَلَىٰ وَرَبِّي لَتُبْعَثُنَّ ثُمَّ لَتُنَبَّؤُنَّ بِمَا عَمِلْتُمْ﴾ [التغابن: ٧].

٤- وفي مواضع أخرى يذم المكذبين بالمعاد، كقوله: ﴿قَدْ خَسِرَ الَّذِينَ كَذَبُوا بِلِقَاءِ اللَّهِ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ﴾ [يونس: ٤٥].

وقوله: ﴿أَلَا إِنَّ الَّذِينَ يَمَارُونَ فِي السَّاعَةِ لَفِي ضَلَالٍ بَعِيدٍ﴾ [الشورى: ١٨].

وقوله: ﴿بَلْ إِدْرَاكَ عِلْمُهُمْ فِي الْآخِرَةِ بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْهَا بَلْ هُمْ عَنْهَا عَمُونَ﴾ [النمل: ٦٦].

٥- وأحياناً يمدح المؤمنين بالمعاد ﴿وَالرَّاسِخُونَ فِي الْعِلْمِ يَقُولُونَ آمَنَّا بِهِ كُلٌّ مِنْ عِنْدِ رَبِّنَا وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّا أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٧) رَبَّنَا لَا تَجْعَلْ قُلُوبَنَا بَعْدَ إِذْ هَدَيْتَنَا وَهَبْ لَنَا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ (٨) رَبَّنَا إِنَّكَ جَامِعُ النَّاسِ لِيَوْمٍ لَا رَيْبَ فِيهِ إِنَّ اللَّهَ لَا يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾ [آل عمران: ٧-٩]. وقوله: ﴿الْم (١) ذَلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِلْمُتَّقِينَ (٢) الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِالْغَيْبِ وَيُقِيمُونَ الصَّلَاةَ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ (٣) وَالَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنْزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنْزِلَ مِنْ قَبْلِكَ وَبِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ (٤) أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ﴾ [البقرة: ١-٥]، وقوله:

﴿لَيْسَ الْبِرَّ أَنْ تُولُوا وَجُوهَكُمْ قِبَلَ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَلَكِنَّ الْبِرَّ مَنْ آمَنَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ وَالْمَلَائِكَةِ وَالْكِتَابِ وَالنَّبِيِّينَ﴾ [البقرة: ١٧٧]

٦- وأحياناً يخبر أنه وعد صادق، وخبر لازم، وأجل لا شك فيه ﴿ذَلِكَ يَوْمٌ مَجْمُوعٌ لَهُ النَّاسُ وَذَلِكَ يَوْمٌ مَشْهُودٌ﴾ [هود: ١٠٣]. ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَاخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي وَالِدٌ عَنْ وَلَدِهِ وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنْ وَالِدِهِ شَيْئًا إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ حَقٌّ﴾ [لقمان: ٣٣]، ﴿وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ (٢٩) قُلْ لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَقْدِمُونَ﴾ [سبأ: ٢٩-٣٠]، ﴿فَذَرَهُمْ يَخُوضُوا وَيَلْعَبُوا حَتَّى يُلَاقُوا يَوْمَهُمُ الَّذِي يُوعَدُونَ﴾ [الزخرف: ٨٣] وقوله: ﴿إِنَّمَا تُوعَدُونَ لَصَادِقٌ﴾ [الذاريات: ٥].

٧- وفي بعض الأحيان يخبر عن مجيئه واقترابه، كقوله: ﴿إِنَّهُمْ يَرَوْنَهُ بَعِيدًا﴾ (٦) وَتَرَاهُ قَرِيبًا﴾ [المعارج: ٦-٧] وقوله: ﴿أَتَى أَمْرُ اللَّهِ فَلَا تَسْتَعْجِلُوهُ﴾ [النحل: ١]، وقوله: ﴿اقْرَبَتِ السَّاعَةُ وَانْشَقَّ الْقَمَرُ﴾ [القمر: ١].

٨- وفي مواضع أخرى يمدح نفسه - تبارك وتعالى - بإعادة الخلق بعد موتهم، ويذم الآلهة التي يعبدونها المشركون بعدم قدرتها على الخلق وإعادته؛ كقوله: ﴿وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَا يَخْلُقُونَ شَيْئًا وَهُمْ يُخْلَقُونَ وَلَا يَمْلِكُونَ أَنْفُسَهُمْ ضَرًّا وَلَا نَفْعًا وَلَا يَمْلِكُونَ مَوْتًا وَلَا حَيَاةً وَلَا نُشُورًا﴾ [الفرقان: ٣]، وقوله:

﴿أَمِنْ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ أَلِلَّهُ مَعَ اللَّهِ قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ﴾ [النمل: ٦٤]

٩- وبين في مواضع أخرى أن هذا الخلق وذاك البعث الذي يُعجز العباد ويذهلهم سهل يسير عليه: ﴿مَا خَلَقْكُمْ وَلَا بَعْثُكُمْ إِلَّا كَفْسٍ وَاحِدَةٍ﴾ [لقمان: ٢٨]، وقال: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ نَجْمَعَ عِظَامَهُ﴾ (٣) بَلَى قَادِرِينَ عَلَى أَنْ نُسَوِّيَ بَنَانَهُ﴾ [القيامة: ٣-٤].

ثانياً: الاستدلال على النشأة الأخرى بالنشأة الأولى:

استدلَّ القرآن على الخلق الثاني بالخلق الأول، فنحن نشاهد في كلِّ يوم حياة جديدة تخلق: أطفال يولدون، وطيور تخرج من بيضها، وحيوانات تلدها أمهاتها، وأسماك تملأ البحر والنهر، يرى الإنسان ذلك كله بأم عينيه، ثم ينكر أن يقع مثل ذلك مرة أخرى بعد أن يبيد الله هذه الحياة.

إن الذين يطلبون دليلاً على البعث بعد الموت؛ يغفلون عن أن خلقهم على هذا النحو أعظم دليل، فالقادر على خلقهم، قادر على إعادة خلقهم، وقد أكثر القرآن من الاستدلال على النشأة الآخرة بالنشأة

الأولى، وتذكير للعباد المستبشرين لذلك بهذه الحقيقة ﴿وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ إِذَا مَا مِتُّ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا (٦٦) أَوَّلًا

يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا﴾ [مريم: ٦٦-٦٧].

ويذكرنا القرآن في موضع آخر بالخلق الأول للإنسان، فأبونا آدم خلقه الله من تراب، فالقادر على جعل التراب بشراً سوياً، لا يعجزه أن يعيده بشراً سوياً مرة أخرى بعد موته، ويُذَكَّر أيضاً بخلقنا نحن - ذرية آدم - فإنه خلقنا من سلالة من ماء مهين، تحوّل هذا الماء فأصبح نطفة، ثم صارت النطفة علقة، ثم تحولت إلى مضغة، إلى أن نفخ فيها الروح، وجعلها إنساناً سوياً؛ فالقادر على هذا الخلق المشاهد

المعلوم، قادر على إعادة الخلق، وإحياء الموتى ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِنَ الْبَعْثِ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ مِنْ تُرَابٍ

ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ مُخَلَّقَةٍ وَغَيْرِ مُخَلَّقَةٍ لَنُبَيِّنَ لَكُمْ وَتُقَرَّفُ فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ إِلَى أَجَلٍ مُسَمًّى ثُمَّ نُخْرِجُكُمْ

طِفْلاً ثُمَّ لَتَبَلَّغُوا أَشُدَّكُمْ وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً

فَإِذَا أَنزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ وَأَبْتَتْ مِنْ كُلِّ زَوْجٍ بَهِيجٍ (٥) ذَلِكَ بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ وَأَنَّهُ يُحْيِي الْمَوْتَى وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ

شَيْءٍ قَدِيرٌ (٦) وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَا رَيْبَ فِيهَا وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ﴾ [الحج: ٥-٧].

- وأخرج الإمام أحمد وابن ماجه والحاكم عن بسر بن جحاش رضي الله عنه قال: " تلا رسول الله ﷺ هذه الآية: ﴿فَمَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا قِبَلِكَ مُهْطِعِينَ (٣٦) عَنِ الْيَمِينِ وَعَنِ الشِّمَالِ عِزِينَ (٣٧) أَيُطْمَعُ كُلُّ امْرِئٍ مِنْهُمْ أَنْ يُدْخَلَ جَنَّةَ نَعِيمٍ (٣٨) كَلَّا إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ مِمَّا يَعْلَمُونَ ﴾ [المعارج: ٣٦-٣٩]، ثم بزق رسول الله ﷺ على كفه، فقال: يقول الله تعالى: يا ابن آدم! أنى تعجزني وقد خلقتك من مثل هذا؟ حتى إذا سويتك وعدلتك، مشيت بين بردين ولأرض منك وئيد، فجمعت ومنعت، حتى إذا بلغت التراقي، قلت: أتصدق، وأنى أوان الصدقة؟! ". (صحيح الجامع: ٨١٤٤)

وقد أمر الله عباده بالسير في الأرض، والنظر في كيفية بدء الخلق؛ ليستدلوا بذلك على قدرته على الإعادة ﴿أَوَلَمْ يَرَوْا كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ (١٩) قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ ثُمَّ اللَّهُ يُنشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [العنكبوت: ١٩-٢٠] وقال: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَىٰ فِي السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ ﴾ [الروم: ٢٧].

- وتأمل معي أخي الحبيب هذا الحديث القدسي، وهو أصل في هذه المسألة أخرج البخاري عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: قال الله تعالى: " شتمني ابن آدم، وما ينبغي له أن يشتمني، وكذبني، وما ينبغي له أن يكذبني، أما شتمه إياي، فقلوله: " إن لي ولداً، وأنا الله الأحد الصمد، لم ألد ولم أولد، ولم يكن لي كفواً أحد، وأما تكذيبه إياي، فقلوله: " ليس يعيدني كما بدأني، وليس أول الخلق بأهون عليّ من إعادته " .

ثالثاً: القادر على خلق الأعظم؛ قادر على خلق ما دونه:

قبيح في نظر البشر أن يُرمى بالعجز عن حمل الشيء الحقيق من يستطيع حمل العظيم، ومثله إذا غلب إنسان رجلاً شديد البأس قوياً لا يقال له: " إنك لا تستطيع أن تصرع هذا الهزيل الضعيف، ومن استطاع أن يبني قصراً لا يعجزه بناء بيت صغير.

ولله المثل الأعلى، فإن من جملة خلقه ما هو أعظم من خلق الناس، فكيف يقال للذي خلق السماوات والأرض: أنت لا تستطيع أن تخلق ما دونه، قال تعالى: ﴿ ذَلِكَ جَزَاءُهمَ بِأَنَّهُمْ كَفَرُوا بِآيَاتِنَا وَقَالُوا إِذَا كُنَّا عِظَامًا وَرُفَاتًا إِنْآ لَسَبْعُونَ خَلْقًا جَدِيدًا ﴾ (٩٨) أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ قَادِرٌ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ وَجَعَلَ لَهُمْ أَجَلًا لَا رَيْبَ فِيهِ فَأَمَّا الظَّالِمُونَ إِلَّا كُفُورًا ﴿ [الإسراء: ٩٨-٩٩].

وقال تعالى: ﴿ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴾ [يس: ٨١]. وقال تعالى: ﴿ أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّ اللَّهَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ وَلَمْ يَغْيَ بِخَلْقِهِنَّ بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يُحْيِيَ الْمَوْتَىٰ بَلَىٰ إِنَّهُ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ ﴾ [الأحقاف: ٣٣]. وقال: ﴿ لَخَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَكْبَرُ مِنْ خَلْقِ النَّاسِ ﴾ [غافر: ٥٧].

قال ابن تيمية - رحمه الله - بعد أن ساق هذه النصوص:

" فإنه من المعلوم ببداهة العقول أن خلق السماوات والأرض أعظم من خلق أمثال بني آدم، والقدرة عليه أبلغ - وأن هذا الأيسر أولى بالإمكان والقدرة من ذلك " . (مجموع الفتاوى: ٢٩٩/٣)

وقال " شارح الطحاوية - رحمه الله - ": " أخبر تعالى أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، يحيي عظاماً قد صارت رميمًا، فيردّها إلى حالتها الأولى " . (شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٦١)

رابعاً: قدرته - تبارك وتعالى - على تحويل الخلق من حال إلى حال:

الذين يكذبون بالبعث يرون هلاك العباد، ثم فناءهم في التراب، فيظنون أن إعادتهم بعد ذلك مستحيلة

﴿وَقَالُوا أَإِذَا ضَلَلْنَا فِي الْأَرْضِ أَإِنَّا لَفِي خَلْقٍ جَدِيدٍ﴾ [السجدة: ١٠]

والمراد بالضلال في الأرض تحلل أجسادهم، ثم اختلاطها بتراب الأرض، تقول: ضلَّ السمن في الطعام إذا ذاب وانماع فيه.

وقد بين الحق - تبارك وتعالى - في أكثر من موضع أن من تمام ألوهيته وربوبيته، قدرته على تحويل الخلق من حال إلى حال، ولذا فإنه يُمَيِّت ويُحْيِي، ويخلق ويفني، ويخرج الحي من الميت، والميت من

الحي، ﴿إِنَّ اللَّهَ فَالِقُ الْحَبِّ وَالنَّوَى يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ وَمُخْرِجُ الْمَيِّتِ مِنَ الْحَيِّ ذَلِكُمُ اللَّهُ فَأَنَّى تُؤْفَكُونَ﴾ (٩٥) فَالِقُ

الْإِصْبَاحِ وَجَعَلَ اللَّيْلَ سَكَنًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ حُسْبَانًا ذَلِكَ تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ الْعَلِيمِ﴾ [الأنعام: ٩٥، ٩٦].

من الحبة الجامدة الصمء يُخرج الله نبتة غضة خضراء تزهر وتثمر، ثم تعطي هذه النبتة الحية حبواً جامدة ميتة، ومن الطيور الحية يخرج البيض الميت، ومن البيض الميت تخرج الطيور المتحركة المغردة، التي تتطلق في أجواء الفضاء.

إن تقلُّب العباد: موت فحياة، ثم حياة فموت، دليل عظيم على قدرة الله تجعل النفوس تخضع لعظمته

وسلطانه ﴿كَيْفَ تَكْفُرُونَ بِاللَّهِ وَكُنتُمْ أَمْوَاتًا فَأَحْيَاكُمْ ثُمَّ يُمِيتُكُمْ ثُمَّ يُحْيِيكُمْ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [البقرة: ٢٨].

• الأدلة الثلاثة الأخيرة جاءت في موضع واحد في كتاب الله

قال تعالى: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ ﴿٧٨﴾ قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ ﴿٧٩﴾ الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَنتُم مِّنْهُ تُوقَدُونَ ﴿٨٠﴾ أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَن يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ بَلَىٰ وَهُوَ الْخَلَّاقُ الْعَلِيمُ ﴿٨١﴾ إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَن يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ ﴿٨٢﴾ فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ ﴿٨٣﴾

[يس: ٧٧-٨٣].

وكان سبب نزول هذه الآيات ما ذكره مجاهد، وعكرمة، وعروة بن الزبير، والسدي، وقتادة: " أنه جاء أبي بن خلف - وقيل: العاص بن وائل السهمي - إلى رسول الله ﷺ وفي يده عظم رميم، وهو يُفْتَتِّه ويذروه في الهواء، وهو يقول: يا محمد، أتزعم أن الله يبعث هذا؟ فقال ﷺ: نعم يميئك الله تعالى، ثم يبعثك، ثم يحشرك إلى النار، ونزلت هذه الآيات: ﴿أَوَلَمْ يَرِ الْإِنْسَانُ أَنَّا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ مُبِينٌ﴾ (٧٧) وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا وَنَسِيَ خَلْقَهُ قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ... ﴿٧٩﴾ الآيات

أي استبعد إعادة الله تعالى ذي القدرة العظيمة - التي خلقت السموات والأرض - للأجساد والعظام الرميمة، ونسى نفسه، وأن الله تعالى خلقه من العدم إلى الوجود؛ فعلم من نفسه ما هو أعظم مما استبعده وأنكره وجحدته، ولهذا قال الله ﷻ: ﴿قُلْ يُحْيِيهَا الَّذِي أَنشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩] (انظر مختصر تفسير ابن كثير: ٥٧٨/٣)

والآيات السابقة تدل دلالة واضحة على إعادة الخلق مرة أخرى، ويدل على هذا:

١- إنه سبحانه احتج بالإبداء على الإعادة، وبالنشأة الأولى على النشأة الأخرى، إذ كل عاقل يعلم ضرورياً أن مَنْ قدر على هذه قدر على هذه، وأنه لو كان عاجزاً عن الثانية لكان عن الأولى أعجز وأعجز، ولما كان الخلق يستلزم قدرة الخالق على المخلوق، وعلمه بتفاصيل خلقه؛ أتبع ذلك بقوله:

﴿وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ﴾ [يس: ٧٩]. فهو عليم بتفاصيل الخلق الأول وجزئياته، ومواده وصورته، فكَذَلِكَ

الثاني، فإذا كان تام العلم، كامل القدرة، كيف يتعذر عليه أن يحيي العظام وهي رميم؟

(شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٦)

٢- " ثم أكد الأمر بحجة قاهرة وبرهان ظاهر، يتضمن جواباً عن سؤال ملحد آخر، يقول: " العظام إذا صارت رميمًا عادت طبيعتها باردة يابسة، والحياة لا بد أن تكون مادتها وحاملها طبيعة حارة رطبة بما يدل على أمر البعث، ففيه الدليل والجواب معاً، فقال: ﴿الَّذِي جَعَلَ لَكُم مِّنَ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ نَارًا فَإِذَا أَتَمَّ مِنْهُ

تَوَقُّدُونَ﴾ [يس: ٨٠] فأخبر سبحانه بإخراج هذا العنصر، الذي هو في غاية الحرارة واليبوسة من الشجر الأخضر الممتلئ بالرطوبة والبرودة، فالذي يخرج الشيء من ضده، وتتناقض له مواد المخلوقات وعناصرها ولا يستعصي عليه، هو الذي يفعل ما أنكره الملحد ودفعه، من إحياء العظام وهي رميم.

٣- ثم أكد هذا بأخذ الدلالة من الشيء الأجل الأعظم، على الأيسر الأصغر، فإن كل عاقل يعلم أن من قدر على العظيم الجليل فهو على ما دونه بكثير أقدر وأقدر، فمن قدر على حمل قنطار؛ فهو على حمل وقية أشد اقتداراً، فقال: ﴿أَوَلَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضَ بِقَادِرٍ عَلَىٰ أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ﴾ [يس: ٨١]، فأخبر أن الذي أبدع السماوات والأرض على جلالتهما، وعظم شأنهما، وكبر أجسامهما، وسعتهما، وعجيب خلقهما، أقدر عليه أن يحيي عظاماً قد صارت رميمًا، فيردّها إلى حالتها الأولى .

٤- ثم أكد - تبارك وتعالى - ذلك وبينه ببيان آخر، وهو أن فعله ليس بمنزلة غيره، الذي يفعل بالآلات والكلفة، والنصب والمشقة، ولا يمكنه الاستقلال بالفعل، بل لابدّ معه من آلة ومُعِين، بل يكفي في خلقه لما يريد أن يخلقه ويكوّنه نفس إرادته، وقوله للمكوّن: ﴿كُنْ﴾، فإذا هو كائن كما شاءه وأرادَه

﴿إِنَّمَا أَمْرُهُ إِذَا أَرَادَ شَيْئًا أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ﴾ [يس: ٨٢].

ولا أدلّ على ذلك من الحديث الذي أخرجه البخاري ومسلم عن أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي صلى الله عليه وآله قال: " أسرف رجل على نفسه، فلما حضره الموت أوصى بنيه، فقال: إذا أنا مت فأحرقوني، ثم اسحقوني، ثم أذروني في البحر، فوالله لئن قدر عليّ ربي ليعذبني عذاباً ما عذبه أحداً، ففعلوا ذلك به، فقال الله للأرض: أدّي ما أخذت، فإذا هو قائم، فقال: ما حملك على ما صنعت؟ قال: خشيتك يا رب؛ فغفر له بذلك ."

ثم ختم هذه الحجة بإخباره أن ملكوت كل شيء بيده، فيتصرف فيه بفعله وقوله:

﴿فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِهِ مَلَكُوتُ كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾ [يس: ٨٣] (راجع شرح العقيدة الطحاوية: ص ٤٦٠ - ٤٦١)

خامساً: الاستدلال بالنوم على الموت، وبلاستيفاظ على الحياة:

وهذا تجده في قوله تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يَتَوَفَّاكُم بِاللَّيْلِ وَيَعْلَمُ مَا جَرَحْتُم بِالنَّهَارِ ثُمَّ يَبْعَثُكُمْ فِيهِ لِيُقْضَىٰ أَجَلٌ مُّسَمًّى ثُمَّ إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ ثُمَّ يُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾ [الأنعام: ٦٠]

فإنه تعالى يتوفى الأنفس بالنوم وبالموت، فالقادر على إرجاع نفس النائم بعد قبضها، قادر على إرجاع نفس الميت بعد قبضها، قال تعالى: ﴿اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَالَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا فَيُمْسِكُ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ﴾ [الزمر: ٤٢]

والنبي ﷺ يؤكد على هذه الحقيقة، ويخبرنا أن النوم أخو الموت، فقد أخرج البزار وأبو نعيم في "الحلية" عن جابر رضي الله عنه قال: "سئل النبي ﷺ: أينام أهل الجنة؟ قال: لا. النوم أخو الموت، والجنة لا موت فيها."

وأخرج البخاري عن حذيفة رضي الله عنه قال: "كان النبي ﷺ إذا أخذ مضجعه من الليل؛ وضع يده تحت خده، ثم يقول: "اللهم باسمك أموت وأحيا، وإذا استيقظ قال: الحمد لله الذي أحيانا بعدما أماتنا وإليه النشور."

سادساً: إحياء بعض الأموات في هذه الحياة:

شاهد بعض البشر في فترات مختلفة من التاريخ عودة الحياة إلى الجثث الهامدة، والعظام البالية، بل شاهدوا الحياة تدب في بعض الجماد، وقد حدثنا الله - تبارك وتعالى - عن شيء من هذه المعجزات الباهرة، فمن ذلك أن قوم موسى قالوا له: ﴿لَنْ تُؤْمِنَ لَكَ حَتَّىٰ نَرَىٰ اللَّهَ جَهْرَةً﴾ [البقرة: ٥٥] فأخذتهم الساعة وهم ينظرون، ثم بعثهم بعد موتهم ﴿فَأَخَذْتُمُ السَّاعَةَ وَأَنتُمْ تَنْظُرُونَ﴾ (٥٥) ثُمَّ بَعَثْنَاكَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِكَ لَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٥٥-٥٦].

- وقتل بنو إسرائيل قتيلاً، واتهم كل قبيل القبيل الآخر بقتله، فأمرهم نبيهم أن يذبحوا بقرة، فذبحوها بعد أن تعنتوا في طلب صفاتها، ثم أمرهم نبيهم بعد ذبحها أن يضربوا القتل بجزء منها، فأحياء الله وهم ينظرون، فأخبر عن قتله، ﴿فَقُلْنَا اضْرِبُوهُ بِبَعْضِهَا كَذَلِكَ يُخَيِّبُ اللَّهُ الْمُتَوْتِي وَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾ [البقرة: ٧٣]

- وأخبرنا عن الذين فرّوا من ديارهم وهم ألوف خشيّة الموت، فأماهم الله ثم أحياهم ﴿أَلَمْ تَرَ إِلَى الَّذِينَ خَرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ وَهُمْ أُلُوفٌ حَذَرَ الْمَوْتِ فَقَالَ لَهُمُ اللَّهُ مُوتُوا ثُمَّ أَحْيَاهُمْ إِنَّ اللَّهَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ لَا يَشْكُرُونَ﴾ [البقرة: ٢٤٣].

- وحَدَّثَنَا عن الذي مرَّ على قرية وهي خاوية على عروشها، فتعجَّب من إحياء الله بعد موتها، فأَمَاتَهُ الله مائة عام ثم بعثه، فلما سئل كم لبثت؟ ظن أنه لم يلبث إلا يوماً أو بعض يوم، وبعد إحيائه أحيا الله له حماره، وهو ينظر إلى قدرة الله كيف تعيد الخلق: العظام تتشكل وتتكون أولاً، ثم تُكسى باللحم، ثم تتفخ الروح، أما طعامه الذي كان معه قبل أن يموت فقد بقي تلك الأزمان الطويلة سليماً، لم يفسد،

ولم يتعفن، وتلك آية أخرى تدل على قدرة الله الباهرة: ﴿أَوَكَلِّذِي مَرَّ عَلَى قَرْيَةٍ وَهِيَ خَاوِيَةٌ عَلَى عُرُوشِهَا قَالَ أَنَّى يُحْيِي هَذِهِ اللَّهُ بَعْدَ مَوْتِهَا فَأَمَاتَهُ اللَّهُ مِئَةَ عَامٍ ثُمَّ بَعَثَهُ قَالَ كَمْ لَبِثْتَ قَالَ لَبِثْتُ يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالَ بَلْ لَبِثْتَ مِئَةَ عَامٍ فَانْظُرْ إِلَى طَعَامِكَ وَشَرَابِكَ لَمْ يَتَسَنَّهْ وَانْظُرْ إِلَى حِمَارِكَ وَلِتَجْعَلَ آيَةً لِلنَّاسِ وَانْظُرْ إِلَى الْعِظَامِ كَيْفَ نُنشِزُهَا ثُمَّ نَكْسُوهَا لَحْمًا فَلَمَّا تَبَيَّنَ لَهُ قَالَ أَعْلَمُ أَنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [البقرة: ٢٥٩]

- وإبراهيم عليه السلام دعا ربه أن يريه كيف يحيي الموتى، فكان هذا المشهد الذي حدثنا الحق ﷻ عنه: ﴿وَإِذْ قَالَ إِبْرَاهِيمُ رَبِّ ارْنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى قَالَ أُولِمُ تَأْمِنُ قَالَ بَلَى وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءًا ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيًا وَاعْلَمْ أَنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ حَكِيمٌ﴾ [البقرة: ٢٦٠].

فأمره الله أن يأخذ أربعة من الطيور فيذبحها، ثم يفرق أجزاءها على عدة جبال، ثم ناداها أمراً بإياها بالاجتماع، فكان كل عضو يأتي ويقع في مكانه، فلما تكامل اجتماعها نفخ الله فيها الروح، وانطلقت محلقة في الفضاء.

- وعيسى عليه السلام كان يصنع من الطين كهيئة الطير، ثم ينفخ فيه فيكون طيراً بإذن الله، وكان يحيي الموتى بإذن الله، فقد قال لقومه: ﴿وَرَسُولًا إِلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَنِّي قَدْ جِئْتُكُمْ بِآيَةٍ مِنْ رَبِّكُمْ أَنِّي أَخْلُقُ لَكُمْ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ فَأَنْفُخُ فِيهِ فَيَكُونُ طَيْرًا بِإِذْنِ اللَّهِ وَأُبْرِئُ الْأَكْمَهَ وَالْأَبْرَصَ وَأُخْبِي الْمَوْتَى بِإِذْنِ اللَّهِ﴾ [آل عمران: ٤٩].

- وأصحاب الكهف ضرب الله على آذانهم في الكهف ثلاثمائة وتسع سنين، ثم قاموا من رقبتهم بعد تلك الأزمان المتطاولة، ﴿ثُمَّ بَعَثْنَاهُمْ لِنَعْلَمَ أَيُّ الْحِزْبَيْنِ أَحْصَى لَمَّا لبثُوا أَمَدًا﴾ [الكهف: ١٢]،

﴿وَكَذَلِكَ بَعَثْنَاهُمْ لِيَتَسَاءَلُوا بَيْنَهُمْ قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ قَالُوا رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ﴾ [الكهف: ١٩]

﴿وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ سِنِينَ وَازْدَادُوا تَسْعًا﴾ [الكهف: ٢٥]

- وكانت آية موسى الكبرى: عصا جامدة يلقيها على الأرض فتتحول - بقدرة الله - إلى ثعبان مبین ﴿فَأَلْقَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ﴾ [الشعراء: ٣٢]، وعندما ألقى السحرة حبالهم وعصيهم؛ ألقى موسى عصاه

فإذا هي تبتلع تلك العصي والحبال على كثرتها ﴿فَأَلْقَى مُوسَى عَصَاهُ فَإِذَا هِيَ تَلْقَفُ مَا يَأْفِكُونَ﴾ [الشعراء: ٤٥] وكل هذه الأدلة المتقدمة وقعت، وتمَّ فيها إحياء الموتى بعد مماتهم، وهذا دليل قطعي على قدرة الله.

سابعاً: ضربه المثل بإحياء الأرض بالنبات:

وقد ضرب الله المثل لإعادة الحياة إلى الجثث الهامدة والعظام البالية، بإحيائه الأرض بعد موتها بالنبات ﴿فَانْظُرْ إِلَى آثَارِ رَحْمَتِ اللَّهِ كَيْفَ يُحْيِي الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا إِنَّ ذَلِكَ لَمُحْيِي الْمَوْتَى وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [الروم: ٥٠].

وقال: ﴿وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا فَسُقْنَاهُ إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَحْيَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ بَعْدَ مَوْتِهَا كَذَلِكَ النُّشُورُ﴾ [فاطر: ٩]

وقال: ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَرَى الْأَرْضَ خَاشِعَةً فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ وَرَبَتْ إِنَّ الَّذِي أَحْيَاهَا لَمُحْيِي الْمَوْتَى إِنَّهُ عَلَى

كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾ [فصلت: ٣٩].

وقال: ﴿وَالَّذِي نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً بِقَدَرٍ فَأَنْشَرْنَا بِهِ بَلْدَةً مَيِّتًا كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾ [الزخرف: ١١].

وقال تعالى: ﴿وَهُوَ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ حَتَّى إِذَا أَقْلَّتْ سَحَابًا ثِقَالًا سُقْنَاهُ لِبَلَدٍ مَيِّتٍ فَأَنْزَلْنَا بِهِ الْمَاءَ فَأَخْرَجْنَا بِهِ مِنْ كُلِّ الثَّمَرَاتِ كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ﴾ [الأعراف: ٥٧]

ولاحظ قوله تعالى: ﴿كَذَلِكَ نُخْرِجُ الْمَوْتَى﴾، وقوله ﴿كَذَلِكَ تُخْرَجُونَ﴾؛ تجد أن هناك مماثلة

ومشابهة بين إعادة الأجسام بإنباتها من التراب بعد إنزال الماء قبيل النفخ في الصور، وبين إنبات النبات بعد نزول الماء من السماء، ونحن نعلم أن النبات يتكون من بذور صغيرة، تكون في الأرض ساكنة هامدة، فإذا نزل عليها الماء تحركت الحياة فيها، وضربت بجذورها في الأرض، ويسقت بسوقها إلى السماء، فإذا هي نبتة مكتملة خضراء.

وكذلك الإنسان يتكون يوم القيامة من عَجَبِ الدُّنْبِ، وهو عظم صغير أسفل العمود الفقري، قال عنه النبي ﷺ كما عند البخاري ومسلم: "وليس في الإنسان شيء إلا بلي، إلا عظم واحد، وهو عَجَبُ الدُّنْبِ منه يركب الخلق يوم القيامة".

ثامناً: حكمة الله تقتضي بعث العباد للجزاء والحساب:

الله تعالى لم يخلق الناس عبثاً، ولن يتركهم سدى، قال تعالى: ﴿أَفَحَسِبْتُمْ أَنَّمَا خَلَقْنَاكُمْ عَبَثًا وَأَنَّكُمْ إِلَيْنَا لَا

تَرْجِعُونَ (١١٥) فَتَعَالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْكَرِيمِ ﴿ [المؤمنون: ١١٥-١١٦]

وقال تعالى: ﴿أَيَحْسَبُ الْإِنْسَانُ أَنْ يُتْرَكَ سُدًى﴾ [القيامة: ٣٦]

فهل يظن عاقل أن يترك الإنسان في هذه الدنيا لا يؤمر ولا يُنهى، ويترك في قبره سدى دون أن يبعث؟ إن ذلك لا يليق بحكمة الله، فكل شيء يصدر منه سبحانه له حكمة تقتضيه. (فتح القدير للشوكاني: ٣٤٢/٥)

وتقتضي حكمة الله وعدله أن يبعث الله عباده ليجزيهم بما قدموا، فأنه خلق الخلق لعبادته، وأرسل الرسل، وأنزل الكتب لبيان الطريق الذي يعبدونه به، فمن العباد من استقام على طاعة الله، وبذل نفسه وماله في سبيل ذلك، ومنهم من رفض الاستقامة على طاعة الله، وطغى وبغى، أفيلق بعد ذلك أن يموت الصالح والطالح ولا يجزي الله المحسن بإحسانه والمسيء بإساءته؟ ﴿أَفَنَجْعَلُ الْمُسْلِمِينَ كَالْمُجْرِمِينَ

(٣٥) مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ﴾ [القلم: ٣٥-٣٦]

إن الكفرة الضالين هم الذين يظنون أن الكون خلق عبثاً وباطلاً لا لحكمة، وأنه لا فرق بين مصير المؤمن المصلح، والكافر المفسد، ولا بين مصير التقي والفاجر ﴿وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا ذَلِكَ ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا فَوَيْلٌ لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ (٢٧) أَمْ نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُفْسِدِينَ فِي الْأَرْضِ أَمْ نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ﴾ [ص: ٢٧-٢٨].

إذاً الاستدلال باختلاف أحوال الناس في هذه الحياة على فعل الخير والشر والصلاح والفساد، يدل على وجود حياة أخرى يُجزى فيها كل عامل بما قدّم من خير أو شر، فليس من العدل أن يموت الظالم والمظلوم دون حساب ولا جزاء، فلا بد من عودة الحياة ليُجزى كل إنسان بما عمل من خير أو شر، وترد الحقوق إلى أهلها، ويقتص من الظالمين، ويجازى المؤمنون بأعمالهم، كما يحاسب الكافرين على كفرهم، والعصاة على عصيانهم.

قال تعالى: ﴿إِلَيْهِ مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا إِنَّهُ يَبْدَأُ الْخَلْقَ ثُمَّ يُعِيدُهُ لِيَجْزِيَ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ بِالْقِسْطِ وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ شَرَابٌ مِنْ حَمِيمٍ وَعَذَابٌ أَلِيمٌ بِمَا كَانُوا يَكْفُرُونَ﴾ [يونس: ٤]. اهـ

(القيامة الكبرى للدكتور عمر سليمان الأشقر - رحمه الله - بتصرف واختصار)

وبعد...

فهذا آخر ما تيسّر جمعه في هذه الرسالة.
وأسأل الله - تعالى - أن يكتب لها القبول، وأن يتقبلها منّي بقبول حسن، كما أسأله سبحانه وتعالى أن ينفع بها مؤلفها وقارئها، ومن أعان على إخراجها ونشرها..... إنه ولي ذلك والقادر عليه.
هذا وما كان فيها من صواب فمن الله وحده، وما كان من سهو أو خطأ أو نسيان فمني ومن الشيطان، والله ورسوله منه براء، وهذا شأن أي عمل بشري فإنه يعتريه الخطأ والصواب، فإن كان صواباً فادعُ لي بالقبول والتوفيق، وإن كان ثم خطأ فاستغفر لي:

وإن وجدت العيب فسد الخلا جلّ من لا عيب فيه وعلا
فاللهم اجعل عملي كله صالحاً ولوجهك خالصاً، ولا تجعل لأحد فيه نصيباً
والحمد لله الذي بنعمته تتم الصالحات.

وآخر دعوانا أن الحمد لله رب العالمين، وصلى الله على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.
هذا والله - تعالى - أعلى وأعلم.

سبحانك اللهم وبحمدك، أشهد أن لا إله إلا أنت، أستغفرك وأتوب إليك